

الكتب

رسالة الحج

تأليف الأستاذ ح. ع. (دبلوماسي)
للأستاذ عبد الحميد العبادي

الأستاذ ح. ع. من خيرة رجالنا العاملين في السلك الدبلوماسي ، مثل مصر ولا يزال يمثلها في ممالك الشرق العربي ، فأفاد بذلك خبرة نادرة بأحوال البلاد العربية في الوقت الحاضر ، وأنشأ لنفسه بخلفه وإخلاصه ونشاطه مكانة عالية عند ملوك العرب ، وساستهم ، وأدبائهم ، وعلمائهم . وإني لسعيد بأن أقول إني اطلمت على ذلك بنفسى في بعض مجوال في ربوع الشرقين الأدنى والأوسط

وقد واتى الحظ الأستاذ ح. ع. وساعفته ظروف عمله الدبلوماسي فأدى فريضة الحج ثلاث مرات استطاع أن يدرس في أثنائها على هدى التاريخ وفي ضوء الواقع حال ذلك النظام الاسلامي الجليل المدود خامس أركان الاسلام . ثم صاغ خلاصة دراسته في رسالة لطيفة الحجم عظيمة الفائدة ، يعرف فيها من يطالعها بلاغة الأديب ، وفكرة الفيلسوف ، وزعة الصلح المؤمن رسالة الاسلام وبإمكان إلهاض المسلمين من عثارهم بالرجوع بهم إلى كثير من نظمهم وسننهم الأولى . فجاءت الرسالة من أحسن ما كتب عن « الحج » ، ومن خير ما أخرجته الطابع المصرية في هذا العام

بنى الأستاذ على المسلمين في صدر رسالته إلهامهم أمر الحج حتى كاد هذا النظام العتيق يفقد على مر الزمن من الناحية العملية الحكمة التي قصد إليها الشارع من تشريعه . فهو يقول : « أما بعد فقد أديت فريضة الحج ثلاث مرات ، وشاهدت الحجاج من جميع الأجناس ، وخالطت منهم طوائف كثيرة ، وحادثت كبارهم وذوى المقول منهم ، ودرست بفكرى وعينى وقلبي ، فكنت أرى وأفكر وأبحث ، وكنت أستلهم كل شئ من حكمة ، وكل مكان وحيه ، وكل عمل سره ، فظهر لي أخيراً أن الحج لا يزال مجهولاً في حقيقته ، وأن الدين يحجون إنما يؤدون

عملاً فردياً محضاً ، ولا يعرفون إلا ظاهراً من الأمر . . . »

والرسالة تنقسم إلى ثلاثة أقسام ، أولها في أن الاسلام دين انساني عام ، وأنه دين المساواة التي تظهر في شكلها المادي المحسوس في الحج ، وأن الكعبة من العالم الاسلامي بمنزلة القلب من الجسم ، فالتوجه اليها في الصلاة والحج ذو حكمة بالغة . والقسم الثاني يتناول الكلام على « مقاصد الحج » ، وفيه يرى الأستاذ أن الحج كفيل بتحقيق مبدأ الرجوع إلى طهارة الطبيعة الذي دعا اليه الفلاسفة أمثال روسو ولكثرتهم عجزوا عن تحقيقه ، وأن الحج يستوفي مزايا نظام الكشافة ويربى عليها ، وأن الحج رمز للجهاد الاسلامي في أسمى وأشرف معانيه ، وأن موسم الحج جدير بأن يصبح مؤتمراً عاماً لنشر الثقافة بين المسلمين لو حرصت كل أمة اسلامية على أن تُحج كل عام نفرًا من صفوة رجالها يبادلون نظراءهم من حجج الأمم الأخرى الرأي والشورة ؛ والأستاذ يرى أن هذه المقاصد كلها مما يتدرج تحت مدلول قوله تعالى : « ليشهدوا منافع لهم »

على أن الجديد المنع من هذه الرسالة هو قسمها الثالث ، هو تلك الفصول التي عقدها الأستاذ لناسك الحج وأسرارها التي خفيت على كثير من بحاث المسلمين حتى ذهب بعضهم إلى أنها أمور تمبديّة توقيفية لا مجال لتفكير العقل البشري فيها ؛ فالأستاذ يتناولها منسكا منسكا : من الأحرام ، إلى الطواف حول الكعبة ، إلى السعى بين الصفا والمروة ، إلى الوقوف برفات ، إلى رمي الجمار عند العقبة ، إلى تقديم الهدى ، إلى استلام الحجر الأسود والاهلال بالثلبية ، فإذا هذه المناسك قد أفصحت عن سرها ، وأبانت عن مكنون حكامها . والحق أن هذا البحث ليكشف عن ناحية روحانية جميلة من نفس الباحث القدير

ثم يختم الأستاذ رسالته بمقترحات عملية يتقدم بها إلى الحكومات الاسلامية عامة والحكومة المصرية خاصة ، راجياً الأخذ بها حتى ينتفع المسلمون بنظام الحج

وإن الذي يفرغ من قراءة هذه الرسالة ليتعنى أمرين : أن تجد دعوة الأستاذ ح. ع. من أولى الرأي في العالم الاسلامي آذاناً صاغية ، وقلوباً واعية ، وألا يحرم الأستاذ الشباب المتعلم المثقف من نقشات براهه ، فهو يراع بصدر عن فكر ناشج وطائفة نبيلة ما

عبد الحميد العبادي